مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (١) ملحق (١) آذار. لسنة ٢٠٢٦م -١٤٤٧هـ

الثنائية في الجغرافيا وعلاقتها بفلسفة علم لمكان

أ.م.د حنان حسين دريول
م.د نغم احمد مصلح
الجامعة المستنصرية – كلية التربية الاساسية
Nagam.edbs@uomustansiriyah.edu.iq

الملخص

يهدف البحث الى بيان الاطار الفلسفي والتعريف لعلم المكان ذلك العلم الذي يمثل طريق ثالث للمعرفة له شخصيته المتميزة التي تفرد بها عن باقي العلوم الاخرى اذ ان العلوم تأخذ جانب طبيعي او بشري ثم يتم التركيز عليها بينما علم المكان يجمع بين العلوم الطبيعية والبشرية دون تتميز في حيز مكاني.كما انه يهدف الى ابراز العلاقة بين المكان والجغرافيا على الرغم من اتساع مساحه المكان الا ان الجغرافية تدخل ضمن العلوم المكانية احد السمات الاساسية الخارجية لعلم المكان ومن ثم هنالك علاقة مشتركة بين المكان التكاملي الواسع والجغرافيا. ويتضح بان علاقة فلسفة المكان الجغرافي علاقة متينة من حيث التشابه والاهتمام بالبعد المكاني لذلك فان طبيعة العلاقة بين الثنائية وفلسفة المكان تظل علاقه قوية جدا.

الكلمات المفتاحية:(علم المكان، الثنائية في الجغرافية، فلسفة المكان).

Dualism in Geography and its Relationship to the Philosophy of Place Science

Assistant Professor Dr. Hanan Hussein Daryoul and
Lecturer Dr. Nagham Ahmed Musleh
Nagam.edbs@uomustansiriyah.edu.iq
Al-Mustansiriya University / College of Basic Education

Abstract

This research aims to clarify the philosophical framework and definition of place science, a discipline that represents a third path to knowledge, possessing a distinct character that sets it apart from other sciences. While other sciences focus on either a natural or human aspect, place science combines both natural and human sciences without being confined to a specific spatial dimension. Furthermore, it aims to highlight the relationship between place and geography. Despite the vastness of space, geography falls under the category of place sciences, representing one of its fundamental external characteristics. Consequently, there is a shared relationship

between the expansive, integrated concept of place and geography. It becomes clear that the relationship between the philosophy of geographical place is strong in terms of similarity and focus on the spatial dimension. Therefore, the nature of theelationship between dualism and the philosophy of place remains very strong.
Keywords: (Place Science, Dualism in Geography, Philosophy of Place)

المقدمة:

تعد الجغرافيا علم من العلوم الاجتماعية وهي كلمة اصلها اغريقي مركبه من كلمتين هما جيو Geo وتعني الارض وكامه جغرافيا Graphia وتعني المصطلح هو العالم الاغريقي إيراتو ستنيز سنه ٢٤٠ ق.م. (تو. فريمان.ص٤٠) ويكثر الجغرافيون من الحديث عن تعريف الجغرافيا يختلفون في ذلك بسبب تعدد اهتمامات هذا العلم، وبما انهم تجاوزوا الوصف المجرد الى أمور تهتم بتحليل وتفسير الظواهر الطبيعية والظواهر البشرية فقد اورد عدد من التعريفات لعلم الجغرافيا اشهرها العلاقات المكانية الذي يتمثل في تسريع الحركة الانتقالية للإنسان وعلم توزيع الظواهر الجغرافية والاختلافات الاقليمية او ما يسمى بالجغرافيا الوصفية وقد تطور علم الجغرافيا وتعددت فصار يهتم بدراسة الاختلافات المكانية على سطح الارض وتوزيع الظواهر الطبيعية الظواهر البشرية ودراسة العلاقات القائمة بينهما وتشخيص الاختلافات الاقليمية ودراستها كما ان الجغرافيا تمتاز بخصائص جعلتها في مصاف العلوم المهمة التي تحتاجها الدول في التخفيف عن مشكلاتها البيئية والتخطيطية المختلفة، وفي بحثنا تم تسليط الضوء على موقع المكان في العلوم المختلفة ودور الجغرافي في دراسة المكان فكما لا جغرافيا بدون مكان كذا الحال لاعلوم بدون مكان، فان Place المكان مرهون بالجغرافيا ويصعب عليهم تصوير غير ذلك فالمكان يجمع الجميع ليعيشوا وينشطوا ويتفاعلوا مع بعض من جانب ومع المكان نفسه من جانب اخر ليشكلوا شخصية المكان وكينونته انهم جزء منه عرفه ذلك ام لا ؟ وهم من نتائج المكان بالدرجة الرئيسية.

وللتوصل الى هدف البحث يمكن تأطير الدليل العلمي للبحث كالآتي:

اولا: مشكلة البحث: تتمثل مشكلة البحث بعدة اسئلة هي:

١.ما الاطار الفلسفي والتعريفي للثنائية في الجغرافية وفلسفة علم المكان

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (١) ملحق (١) آذار. لسنة ٢٠٢٦م -١٤٤٧هـ

٢.ما علاقة الثنائية في الجغرافية وفلسفة علم المكان

.هل للبحث في طبيعة المنهج المتبع في الثنائية في الجغرافية وفلسفة علم المكان.

ثانيا:فرضية البحث: تتمثل الاجابة على الاسئلة المطروحة أعلاه وكما يأتي:

١.جاءت عدة تعاريف لفلسفة علم المكان تتماشى مع طبيعه العصور التي مرت بها البشرية بدء من الاغريق والرومان مرورا بالعرب وأنتهاء بالتطور الذي جاء على يد كل من الكسندر هبمولدت وكارل ريتر ، اما تعريف الثنائية في الجغرافيا ابتدائي بأفلاطون واغسطس وستربوعند الاغريق والرومان ثم ابن خلدون وتعاريف عديدة في عصر التطور الحالي من فالكنبرج الى دوكلاس.

٢.علاقة فلسفة المكان الجغرافي علاقة متينة من حيث التشابه والاهتمام بالبعد المكاني وما طبيعة العلاقة بين الثنائيه وفلسفه المكان يظل علاقة قوية جدا.

٣.ما طبيعة المناهج المتبعة في الثنائية في الجغرافيا لان اساسها المكان سواء كانت دراسة العوامل طبيعية ام بشرية ام اقتصادية او تحليل القوى او وظيفية او تتبع تاريخي او تسليط الضوء على طبيعة نظام ما او سلوك الناس او قياس الوزن الجيوبولتيكي.

ثالثا: هدف البحث

يهدف البحث الحالي الى التعرف على الثنائية في الجغرافيا وعلاقتها بفلسفة لمكان.

رابعا: هيكلية البحث: يتضمن البحث الحالي ثلاث فصول رئيسية هي ١.المبحث الاول : ميادين علم الجغرافية .٢. المبحث الثاني : الثنائية في علم الجغرافية .٣. المبحث الثالث : الجغرافية علم المكان وفلسفتها ٤.الخاتمة

المبحث الاول : ميادين علم الجغرافية- ميادين في (علم المكان)

توصل العالم دافيس الى فرضيات لنظريات جعلت دراسة التضاريس واضحة ومفهومة كما استقر رأيه على نظرية السببية والتفاعل المتبادل وقد علق لايلى بان راي دافيس تتشابه الى حد ما لراي رسل هينمان والقائل ان الجغرافيا الطبيعية تهدف الى تتبع فعل القوانين الطبيعية على

الارض والهواء والماء واليابسة وعلى النباتات والحيوانات وحتى على الانسان وتوجد ثلاثة جهات ميزت علم مكان الطبيعة الحديث عما كانت عليه في السابق هي:

١.جميع المعلومات التي اصبحت متوفرة بمساعدة الاجهزة التقنية الحديثة كما في الصور الجوية.

٢.تحديد منطقة معينة للدراسة بدلا من الدراسة التوزيعية الواسعة .

٣. العلاقة المتبادلة بين العمليات الطبيعية والفعاليات الانسانية وقد كانت سببا لدراسة المناطق والاقاليم.

ومن هنا لا بد من التعرف الى تلك الميادين التي يتناولها الجغرافي والمجال الذي يحتاجه من كل تلك الفروع والعلوم وهي كما يأتي:

١.جغرافية المكان:

اهتمت بدراسة التوزيع المكاني لتباينات عناصر المناخ التحليل اقاليم المناخ وانظمة المناخ وانعكاس ذلك على البيئة والانسان وقد بدا الاهتمام بالمناخ منذ القدم بملاحظة الجو عناصره وتقلباته بالتنبؤ في اقتراب الحصول ومراقبتها وقد تقدمت الدراسات الجوية والمناخية سريعا خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومن ثم تقدم الملاحظات خلال القرن العشرين وهنا يبرز دوره العمل على تقسيم الارض واقاليم مطر وجفاف وغيرها من الان حتى المناخ مصر على سطح الارض ومن ثم تفسير دوره في صور الحياة التربة والمياه والصخور (فرحان واخرون ،١٩٩١،ص٦٠).

٢.الجيومورفولوجيا:

تعني علم اشكال سطح الارض الذي يهتم بوصف وتصنيف وتحليل اشكال سطح الارض وتطورها من خلال التركيز على العوامل التي اسهمت في تكوين تضاريس سطح الارض ولا تزال تعمل على تغييرها فقد اكد اكل من كنكوك ودور كم بان الجيومورفولوجيا تعنى بدراسة اشكال اليابس والعمليات التي تعمل على سطحها او عمليات تكونها ان مجال هذا التخصص هو سطح الارض او القشرة الارضية او الجزء الصلب من سطح الارض وتمثل حلقة الوصل

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (١) ملحق (١) آذار. لسنة ٢٠٢٦م -١٤٤٧هـ

بين علم المكان الطبيعي والجيولوجيا لذلك اخذ الجغرافي الجيومورفولوجي على عاتقه دراسة الصخور والمعادن المكونة لها ومن ثم براز الجو الاساس لتلك العوامل على تشكيل سطح الارض من خلال تفسير التغيرات التي تحدث منها حركة الرياح و الماء والجليد وما تتركه من اثر في اشكال سطح الارض كما تعمل الجغرافيا ضمن ذلك المجال على توفير معلومات اساس طبيعة الانهيارات الارضية ادارة المخاطر البيئية ومن ثم تحديد اقاليم الكارست ودوره البحث في الطبيعة.

٣.جغرافية البحار والمحيطات او علم مكان البحار والمحيطات:

علم يعني بالتحليل المكاني للبحار والمحيطات من حيث توزيعها ومظاهرها المتصلة في حركات الكتل المائية والتيارات والامواج البحرية ومظاهر التضاريس في درس الخصائص الكيميائية والاحيائية للمياه وتأخذ دورا من علوم عدة منها علم المياه وعلم المناخ والجيولوجيا والجيومرفولوجيا، كم معناها تفيد علوم اخرى منها علم المناخ وجغرافية النقل والتجارة والموارد الطبيعية والموارد الاقتصادية وغيرها، ولذلك تتناول الجغرافيا الخصائص الطبيعية مياه البحار مثل الحرب وتباين درجاتها على النطاق الافقي والراسي ومن ثم حركة المياه خلال ظاهرة المد والجزر التيارات البحرية و الموجات البحرية اشكال التضاريس العمه وقيعان البحار والمحيطات.

٤.جغرافية الانسان (علم مكان الانسان)

تتجاهل دراسة جغرافية الانسان نحو دراسة الانسان والمجتمعات هي على سطح الارض من حيث نشأته والغرض من انتشاره وجملة نشاطات في الاقتصادية والاجتماعية الحضارية في سبيل تحقيق ذلك تتجه نحو ايجاد العلاقة بين الانسان والبيئة الطبيعية. وبالإمكان تقسيم جغرافية الانسان الى ثلاث فروع هي: جغرافية الاقتصاد- جغرافية المجتمع- جغرافية العمران وهناك جدل حوله محتوى جغرافيا الانسان فقط صنف العالم في الليل موضوعاتها الى ثلاث مجموعات هي الحياة وتجدد الحياة والحياة الرغيدة فالحياة تعني عن مكان الاقتصاد و تحدد الحياة تعني علم مكان المجتمع بينما تدل الحياة الرغيدة والفنون والثقافات العامة للناس.

٥.جغرافية الاقتصاد:

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (١) ملحق (١) آذار. لسنة ٢٠٢٦م -١٤٤٧هـ

تهتم تحليل التوزيع الجغرافي لنشاطات الانسان الاقتصادية لأنها تدرس مؤشرات الانتاج للسلع ونقلها وتبادلها عرفها العالم هوكنز ٢٠٠٠ تدرس العلاقة بين البيئة الطبيعية والاحوال الاقتصادية وبين الحرف وتفسير تخصص مناطق معينة بإنتاج معين ومن اقسام جغرافية الاقتصادية جغرافية الزراعة والصناعة والنقل والتجارة الاقتصادية وجغرافية الطاقة .ويعمل الجغرافي في ذلك المجال على دراسة الغلات الزراعية والصناعية والمعادن بالتعريف والتوزيع و العوامل المؤثرة وبمنهج حرفي يؤكد على حرف الانسان وانواعها ومناطق انتشارها والتزايد بينها واختلافها عن بعضها البعض.

٦.علم مكان الصناعة (جغرافية الصناعة):

هو العلم الذي يدرس النظام الصناعي الذي يتالف من مجموعة من العناصر التي تعمل معا في اطار من الترابط ذات الاتجاهات والدرجات المتنوعة لعناصر المدخلات والمخرجات تتفاعل مع بعضها في الوقت الذي تتفاعل فيه عوامل خارجية تتضمن دراسات عن جغرافية الصناعة في كتابات الفريد في بر حول موقع الصناعات الذي نشره في العام ١٩٥٩ م وهناك علاقة وثيقة بين الصناعة والاقتصاد والسكان وفروعه الاخرى منها اي مكان الزراعة والتجاره والنقل وغيرها وهنا ياتي دور الجغرافي في ذلك التخصص من خلال الاهتمام بالمواقع الصناعيه العوامل التي ساعدت على وجودها من ثم دراسة المناطق الصناعية التي تظهر نتيجه التوزع الاقليمي كما يعمل الجغرافي على دراسة التركيب الصناعي للمدن والمناطق الاقتصادية وكذلك دراسة التركيب الصناعي للدول وللأقاليم المعنية في العالم .

٧- جغرافية النقل (علم مكان النقل)

هو فرع من فروع علم المكان الذي يهتم بتوزيع شبكات النقل وانماطها وحركة الافراد والسلع والمخترعات والافكار والمعلومات ورؤوس الأموال من مكان لآخر .ولقد زادت اتصالات علم مكان النقل بالعلوم الأخرى وقد استعانت بنظريات وأساليب علمية كالاقتصاد والاحصاء والتخطيط، ويتناول الجغرافي شبكات النقل البري والجوي والبحري وجميع استعمالات الاخرى

المتصلة بهذه الخطوط، كالمحطات والمطارات والمدائن وكذلك كافة الافراد المتحركين المنقولين بهذه الخطوط مع البضائع.

٨- جغرافية التجارة (علم مكان التجارة):

يهتم بتحليل توزع التجارة الداخلية والخارجية والانماط المكانية الناتجة عن التوزع وإثرها في التنمية المكانية، ومجال اهتمامها هو البضائع المتحركة من موقع لآخر من خلال المرافئ والمحطات عبر خطوط النقل الجوية والبرية والبحرية، واماكن خزن البضائع ومحلات بيعها للمستهلكين، لذلك يتناول الجغرافي المتخصص تحليل التجارة الخارجية والداخلية واهمية التجارة وبنيتها.

٩ - جغرافية السكان (علم مكان السكان)

هو علم يدرس السكان من حيث الحجم والكثافة والنمو والهجرة والتطور وعلاقة ذلك بالظروف الفيزيائية والحضارية وتحليل حالة السكان في المناطق المختلفة من حيث المشكلات والمستقبل مؤكدا على المكان في منطقة صغيرة أو كبيرة. ويجب ان يتناول المتخصص في جغرافية السكان بيانات السكان وتعداده وملاحظة اختلافاتها من دولة لأخرى، ومن ثم ملاحظة التغيرات السكانية التي تحدث من مكان لآخر، كما يدرس الهجرة بأنواعها والكثافة السكانية ومستوياتها وتباياناتها كما يهتم بدراسة زيادة السكان والعوامل المؤثرة في التوزع، والتراكيب المختلفة للسكان النوعية والعمرية والحرفية والثقافية والزواجية واهرامات السكان

١٠- جغرافية السياسة (علم مكان السياسة):

هو احد الفروع الرئيسة لجغرافية المجتمع ويهتم بدراسة العلاقات بين العناصر الطبيعية وعناصر الانسان وخصائص الدول أو المناطق المنظمة سياسياً. كما تدرس جغرافية السياسة الوحدة المساحية كمنطقة سياسية وهي ظاهرة انسانية اصطناعية مختلفة عما سواها وذات حدود واضحة المعالم وليس الوحدة السياسية التي تدرسها هي الظاهرة الوحيدة في محتوى علم مكان السياسة وتستقي جغرافية السياسة مادتها من ببعض العلوم منها التاريخ والسياسة والعلاقات الدولية والاجتماع والاقتصاد والطبيعة.

١١ – جغرافية الصحة والطب (علم مكان الصحة والطب):

عرف العالم (مي) جغرافية الطب بانها دراسة العلاقة بين المتغيرات الباثولوجيا والمتغيرات المكانية او الجيوجينس، وجغرافية الطب هي عندما تؤثر البيئة على صحة الانسان وليست المرض بحد ذاته بل المنطقة التي تناثر بالمرض والذي يتوطن فيها، وبهذا يكون افضل تعريف لجغرافية الطب انها المعرفة التي تهتم بدراسة المتغيرات المحلية والظروف البيئية التي ترتبا بعلاقة سببية مع حالة الصحة الانسانية ودراسة الحالات التكيف للإنسان ضد تلك المشكلات.

١٢ – جغرافية السياحة (علم مكان السياحة):

هي علم يهتم بدراسة السياحة كصناعة تعتمد على حركة السكان أكثر من البضائع، وتعرف بانها الفرع الذي يهتم بمجموعة النشاطات الاقتصادية والحضارية والتنظيمية الخاصة بانتقال الافراد الى بلد غير بلدهم واقامتهم فيه لمدة لا تقل عن اربع وعشرين ساعة باي قصد كان عدا العمل الذي يدفع اجره من داخل المزار. وقد ذكرت الباحثة الفرنسية (بيري) اهم الجوانب التي يمكن أن يركز عليها علم مكان

السياحة في دراسته وهي المعطيات السياحية، وانسياب السياح الى المناطق السياحية، وطاقة المناطق السياحية على استيعاب السياح، وتحليل العلاقة بين السياحة والجوانب الاجتماعية والاقتصادية للمناطق السياحية، وتحليل المشكلات السياحية والاقليمية وارتباطها بالمشكلات الأخرى ، واقتراح الحلول الناجمة عن تلك المشكلات.

١٣– جغرافية الاجناس:– تهتم جغرافية الاجناس بالنواحي التاريخية للإنسان في مختلف البلدان، بتتبع الهجرات السكانية القديمة وتوزيع السلالات البشرية على البيئات في العصور المختلفة واهتم بهبه النواحي كل من الألماني فريدريك راتول وهنتجتن، كما شار راتزل علما جديدا سماه (جغرافية الانسان).

المبحث الثاني: الثنائية في علم الجغرافيا

لا يرى في الجغرافية إلا علماً واحداً هو علم المكان ، فعندما تتعدد ظاهرات المكان لايعني ان العلم تعدد او تفرع يتعددها، إذ يدرس علم المكان (الجغرافية) ظاهرات عدة، يدرسها مجتمعة في

المكان ضمن ابعاده الفلسفية، ويكشف أنماطا وعلاقات مكانية ، منهجه واحد وأبرز ما فيه النظرة التكاملية إلى الظواهر الطبيعة والإنسانية مجتمعة ومتفاعلة في اطار المكان) بغية اظهار صورة نظام المكان والإرشاد الى ما يصيب الصورة من خلل والتشويه اذا وان علم المكان أو الجغرافيا برى الحقائق والعلاقات مجتمعة في اطار المكان بقوانين خاصة تفرضها طبيعة المكان نفسه، أي طبيعة مكوناته الاساسية أو البنيوية، وعلى الرغم من قدم المعرفة الجغرافية، والتي يبلغ عمرها الآن نحو الألفي سنة أو أكثر، إلا أن الفكر الجغرافي الحديث هو وليد جهود فلاسفة الموضوع وخلاصة أبحاثهم منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي(موسى ،٢٠٠٩،ص٤٢)، لأن ما حدث من تطورات وتغيرات في مفاهيم ومناهج وأساليب بحث الجغرافيا منذ ذلك التاريخ وحتى الوقت الراهن يفوق كل ما حدث من تطورات خلال القرون السابقة من عمر العلم ولا يعني هذا أن أفكار الجغرافيين الأقدمين لم يكن لها دور في التطور الفكري لعلم الجغرافيا، فقد حددت أفكار كل من("سترابو و "بطليموس75 1730Ptolemey) مفهوم الجغرافيا وهدفها بدرجة كبيرة من الدقة عندما أيقنت بوجوب اهتمام علم الجغرافيا بكل من الموقع location والترابط المتبادل بين مختلف الأماكن على سطح الأرض بكونها أجزاء من كل واحد .ولقد كان منتصف القرن التاسع عشر الميلادي هو المدة الحاسمة في تطور علم الجغرافيا وذلك عندما أخذ هذا العلم كل معناه بانتقال ميدان دراسته من مرحلة الوصف إلى مرحلة جديدة تتسم باستيعاب الحقائق المكانية وفهمها بظهور أفكار كل من همبولات ورتر، فقد بدأت الجغرافيا الحديثة بكتاباتهما وأفكارهما ، " إذ لم تكن الجغرافيا قبلهما قد تحددت مفاهيمها أو اتضحت معالمها أو تحددت أهدافها" .ويعود السبب في كون كتابات وأفكار كل من " همبولت " و " ريتر " البداية الحقيقية للجغرافيا، أعطت لألمانيا قصب السبق في بلورة الأفكار الجغرافية وساعدت على نشوء اتجاهات جغرافية واضحة قامت عليها مدارس فكرية أسهمت في إيماء الفكر الجغرافي وإثرائه لاسيما المدرسة الجغرافية الحتمية Determinism إلى أن جغرافيي القرنين السابقين على كل من " همبولت " و "رتر " لم يحاولوا وضع مفهوم جغرافي يتضح من خلاله هدف يحدد معالم الطريق لكل مشتغل بالحقل الجغرافي ، بحيث يحمي هذا المفهوم ذلك

المستغل من الانزلاق إلى حقول تخصصات علمية أخرى ويمكنه من التخصص في زاوية من زوايا العلم فيصبح عمله متميزا على غرار العلوم الأخرى ولقد تعرض علم الجغرافيا لشيء من الانتكاس عندما تعرضت أفكار كل من " همبولت " و " ريتر " لبعض الانتكاس بظهور فكرة الازدواجية Dualism التي فصلت بين ظاهراته الطبيعية وظاهراته البشرية ، ورغم أن علم الجغرافيا علم مزدوج أو ثنائي الشخصية (خير،٢٠٠٢،ص٣٨) ، إلا أن هذا لا يعني أنه يعاني من "ازدواج الشخصية العلمية، فهو بحكم كل من طبيعته ومناهجه وأساليب البحث فيه لابد وأن يكون علماً مزدوجاً أو ثنائيا، وأول مظاهر هذا الازدواج أو الثنائية أنه كعلم، يعتمد على نتائج علوم عدة ، وهي علوم مزدوجة أيضا لكونها علوماً طبيعية وبشرية ، ولهذا فان علم الجغرافيا علم ثنائي؛ طبيعي وبشري ، وللهروب من هذه الثنائية أو الازدواجية اتجه الجغرافيون إلى المنهج الإقليمي ، وهو اتجاه فيه ازدواجية أيضا ، لأنه أنشأ منهجان للدراسة الجغرافية هما المنهج الأصولي systematic أو العام والمنهج الإقليمي regional أو الخاص. ويعزي الفضل في تطور العلم في القرن التاسع عشر إلى الجغرافيين الألمان وعلي رأسهم همبولت ورتر اللذان وضعا أسس الجغرافيا الحديثة، ومن ثم يكون لعلم الجغرافيا نشأتان إحداهما قديمة يونانية والثانية حديثة ألمانية لتكون بذلك علماً أوروبي النشأة وإن كان عالمي الاهتمام غير أنه قبل الاستطراد في التأكيد على تاريخ ميلاد الجغرافيا الحديثة على يد الجغرافيين الألمانيين همبولت وزير في القرن التاسع عشر ينبغي التأكيد على أهمية جغرافي ألماني آخر هو فارينوس وفيلسوف هو كانت، فالأول قسم الجغرافيا إلى قسمين عام وخاص أو أصولي systematic واقليمي regional، والثاني نزل بها من السماء إلى الأرض (جاد،٢٠١٠،ص٥٣)، فبعد أن كانت الجغرافيا قبله تهتم بالجوانب الملكية والرياضية أصبحت عنده تهتم فقط بالظاهرات الموجودة فوق سطح الأرض بل وتعد أساساً لدراسة الجوانب البشرية ، وقد اتجه همبولت نحو الأصولية بينما آنجه رتر نحو الإقليمية مشكلين بذلك منهجاً جغرافياً متكاملاً .ولقد جاء راتزل ليضع أساس المدرسة الجغرافية الحتمية، أو ما يعرف بالحتمية البيئية Environmental Determinism ويؤسس الجغرافيا البشرية، وفي المقابل ظهرت المدرسة الجغرافية الإمكانية Possibilism في

فرنسا على يد فيدال دى لابلاش De La Blasch الذي كان يرى أن البيئة ليست مظهراً أرضياً طبيعياً physical landscape بل مظهر أرضى حصاري Cultural ، وهذا المظهر الجغرافي هو في الواقع موضوع علم الجغرافيا .وفي الدراسات الحديثة بالغ الجغرافيون بالثنائية فهي لم تعدو ثنائية واحدة بل ثنائيات متعددة وهي :

١- ثنائية (طبيعي وبشري)

٢ - ثنائية (الاصولي والإقليمي)

٣ - ثنائية (الجغرافية الوصفية والجغرافية التحليلية)

٤ - ثنائية الحتمي والامكاني

٥ - ثنائية الجغرافية احادية الموضوع والجغرافية متعددة المواضيع

٦ - ثنائية الجغرافية التاريخية والجغرافية المعاصرة

٧ - ثنائية الجغرافية النظرية وجغرافية التطبيق المكاني

بدأت فكرة الفصل بين الدراسة الطبيعية والبشرية عند اليونان إذ اتجهوا من دراسة الكون إلى دراسة الانسان الا انه كعلم بدأ في نهاية القرن التاسع عشر واهتمام بعض المدارس الجغرافية بالعامل الطبيعي وجعل العامل البشري في مرتبة أدنى، واهتمام المدارس الجغرافية الأخرى بالعامل البشري وجعل العامل الطبيعي في مرتبة أدنى، ادى الى مايسمى بالازدواجية Dualism ، وقد تشعب الحديث والجدل في هذين الجانين المنتمين حتى الدراستان في كفتي سران ترجح احداهما على الأخرى تبعا لاختلاف هو الفكر السائد والنظرة أصبحت عانان النابعة من هدف الدراسة الجغرافية. ففي الولايات المتحدة مثلا كان التركيز في الدراسة الجغرافية على العامل البشري وبريطانيا ودول أخرى ركزت على الجانب الطبيعي وفي السويد أخذت المجلة الجغرافية السويدية تنشر أعدادها في سلسلتين واحدة الجغرافية الطبيعية والأخرى للجغرافية البشرية . أنه من غير المعقول في ظاهر الامر ان نفكر بجغرافيا بشرية مفصلة عن الجغرافيا الطبيعية ، الانسان من الارض أرضي كما أكد ريئر Ritter وهو يتحدث (ان كل عمل مادي للإنسان سواء كان بينا أو غرسة في الأرض أو مزرعة أو مدينة يمثل مركباً من عناصر طبيعية وحضارية)

وكما يقول فيدال : الجغرافية البشرية لانتناقض مع جغرافيا استثنيت منها الاهتمامات البشرية .ان التقييم العلمي في أن الفصل بين الدراسة الطبيعية والدراسة البشرية في الجغرافيا مرفوض سواء كان ذلك من الناحية الفلسفية أو الناحية المنهجية، لأنه لاتوجد الا فلسفة جغرافية واحدة وهي التي تدور حول دراسة الظاهرات المختلفة كما تتوزع على سطح الأرض ويحسب علاقاتها المكانية المتعددة سواء كانت طبيعية أو بشرية، وهذا التقييم العلمي ينطبق على ثنائية الجغرافيا الأصولية والجغرافية الاقليمية .

ثنائية الجغرافية (الاقليمية والاصولية)

لايوجد داع للاعتقاد بأن هناك مقارنة بين الجغرافيا الأصولية والجغرافيا الإقليمية ، إذ من الأفضل اعتبارهم اتجاهين متكاملين إذ أن أحدهما يمكن أن يفيد الآخر، فالتضاد الذي يعبر عنه بالمصطلحين المتقابلين الجغرافيا الموضوعية العامة والجغرافيا الإقليمية الخاصة ليس تقسيما للجغرافيا إلى قسمين ولا هو تضاد بين منهجين متميزين الدراسة يستخدمان كل على حدة ، فكل ما في الأمر أن الاهتمام الجغرافي بسطح الأرض يستوجب التحليل الدقيق للائتلاف المعقد للظاهرات المتباينة مكانيا على سطح الأرض، مهما كان مدى المنطقة قيد الدراسة ولتحزنة هذا التعقيد الثاني، أو هذه الثنائية المعقدة، إلى شكل أكثر طواعية فانه من الضروري لأية دراسة جغرافية استعمال منهجين مختلفين، لكنهما في الحقيقة متكاملين – من التحليل بدرجات متفاوتة وبشكل متبادل، أحدهما هو منهج التحليل حسب ائتلاف عناصر ظاهرات المكان، والآخر حسب أجزاء أو أقسام المنطقة قيد الدراسة. وإذا ما أخذ في الاعتبار أنه ليس كل موضوع على سطح الأرض في حد ذاته ، مهم للجغرافي فإننا نجد طريقين لدراسة العلاقات المتبادلة بين الظاهرات على هذا السطح هما الجغرافيا الخاصة الإقليمية التي تدرس جزء من سطح الأرض والجغرافيا العامة التي تدرس ظاهرة جغرافية أو الارتباط بين طاهرتين أو أكثر على مستوى كل سطح الأرض ، وقد تتداخل الطريقتان دون قصد من الباحث (خصباك والمياح،١٩٨٣،ص٢٥) ، فالجغرافيا المناخية على سبيل المثال عندما ندرس السلاح في كل إقليم مناحي على مستوى

العالم تصبح جغرافية إقليمية بين الجغرافيا العامة ولقد كان الفصل "التعسفي" أو "السخيف بتعبير ديفر Davis والجغرافيا الخاصة بماية البداية لظهور "ازدواجية علم الجغرفيا، فقد اعتبر "هنر" أن الدراسات الجغرافية العامة التي قام بها من سبقه من الجغرافيين بعنابة تلمير للترابط الواقعي للطبيعة، لأنها تقوم على الفصل الثاني التظاهرات المترابطة وتقسمها إلى رتب منفصلة ولذا قال بأن أية ظاهرة من ظاهرات سطح الأرض لتدرسها على نحو منفصل مستقل لاتدرس لذاتها وحدها بل من حيث علاقتها بالأماكن الأخرى على الأرض، ومن الضروري دراسة العلاقات السببية فيما بين ميادين الطبيعة المختلفة وظاهراتها المتباينة التي توجد في مكان واحد.

وعندما أوضح "هنر" أن الجغرافي لا يستطيع إيجاد وحدة أي جزء معين من سطح الأرض بمجرد النظر إلى مظهره الخارجي، وإنما بدراسة عناصر تكوينه وتفهم مكونات عناصره، وذلك بالتعرف على التكوين الجغرافي المعقد لمختلف النظم التي تكون تلك الجرء من ناحية، تم بإيجاد الترابط السببي الإجمالي لمختلف الظاهرات المكونة لهذه النظم من ناحية أخرى ، فإنه قد أظهر أن مادة الجغرافيا الإقليمية تستمد من الدراسات الأصولية ومن ثم يكون قد أكد وحدة منهج البحث الجغرافي، ويكون الفرق بين اقليمية الظاهرة وعالميتها هذا هو مداها المكاني، وحجم علاقاتها وارتباطاتها بغيرها من الظاهرات، وعدد هذه الأخيرة، ومن ثم فلا يوجد تناقص في الحقيقة بين المتهمين الاولى والأقليمي إلا في كون الأول تحليلي والثاني تركيبي، وهذه هي طبيعة المنهج الجغرافي والدراسة التحليلية ضرورية لتفهم كيفية التكوين البدائي لظاهرات سطح الأرض، بمعنى أنه لابد من وجود قدر من الإقليمية للفهم الأصولية كما أن الدراسة البنانية الازمة لتعهم عناصر هذا التكوين بشكل تحليلي، أي أنه لابد من وجود قدر من الأصولية الفهم الإقليمية، ومن ثم يتكامل الدراسة الجغرافية لتصبح كعملة واحدة لها وجهين أصولي وإقليمي(الفرا،١٩٨٣، ص٢٢) ، كما قال بذلك "فاريتيوس " منذ نحو ثلاثة قرون وعندما قال ""فارينيوس" بأن الجغرافيا العامة هي ذلك الفرع من العلم الذي يدرس الأرض بشكل عام ويصف أقسامها المتنوعة التي تؤثر عليها ككل والذي يقدم الأسس والقوانين العامة التي يجب استعمالها

في دراسات الأقطار المختلفة وهي الأسس والقوانين التي تشكل الجغرافيا الخاصة، فانه كان يعني في الحقيقة أن الجغرافيا بجانبها العام إنما تهدف إلى دراسة جانبها "الإقليمي "ولم يكن هدف "فارينيوس" من التأكيد على عمومية الجغرافيا أو خصوصيتها هو الفصل بين جانبيها العام والخاص، فلا يوجد دليل على أنه قد اعتبر أن الجغرافيا الخاصة أقل أهمية من الجغرافيا العامة، ولكن وجهة نظره، كما استنتج الابلاش" . لم تكن وجهة نظر ثنائية ولكن الصلة بين القوانين العامة والأوصاف الخاصة التي تعّد تطبيقات تشكل الوحدة الصادقة للجغرافيا، وهذا هو المنهج التكاملي للعلم، فالدراسة حسب العناصر الجغرافيا العامة "، وحسب المناطق "الجغرافيا الإقليمية كانت ضرورية ومهمة للجغرافيا بدرجة متساوية ويرى "هارتسورن" أنه لا يمكن النظر إلى الجغرافيا على أنها تتكون من قسمين يحلل أحدهما العناصر المنفردة في العالم، ويحلل الآخر المركبات أو مجموع العناصر حسب المناطق، لأن كل الدراسات الجغرافية تحلل العلاقات والتباينات المكانية الظاهرات بشكلها المستمر، فلا تفرع ولا ثنائية، وإنما مدى متدرج على طول سلسلة متصلة من العلاقات، التي تتدرج من تلك التي تحلل المركبات البدائية جدا في تباينها المكاني على سطح الأرض، إلى تلك التي تحلل التباين المكاني للعلاقات ضمن مناطق صغيرة المساحة بدرجة أكثر تعقيدا، والمنهج الأول موضوعي، بينما المنهج الثاني إقليمي، بشرط تذكر أن أية دراسة جغرافية صحيحة يجب أن تشتمل على كلا المنهجين وقد اقترح كل من "اكرمان "و "ويلكوك * Wilcock أنه طالما أن الدراسة الجغرافية لأي عنصر أو مركب من العناصر تتضمن دراسة علاقات تباياناته عن العناصر الأخرى ، مما يعنى كمال الدراسات الجغرافية الموضوعية . فأنه من الممكن أن تضمن هذه الدراسات معا كي تشكل الجغرافيا الإقليمية، لأن حصيلة الدراسات الموضوعية الكاملة والصحيحة لمنطقة واسعة متشمل جميع الحقائق والعلاقات المتضمنة في الدراسة الإقليمية لجغرافيتها .وقد سبق أن دعا "همبولت إلى هذا المنهج المزدوج عندما أكد على أهمية تفهم الوحدة ، لكلا الطريقتين إنما يتم في إطار مكاني قد يضيق فيصبح المنهج من خلال الاختلافات المستعمل مستند منهجا إقليميا، أو يتسع فيصبح منهجا عاما أو أصوليا، ومن ثم يتبين أن الجانب الإقليمي من الدراسة الجغرافية هو

على الدرجة ذاتها من الأهمية التي يتميز بها الجانب الأصولي، فلا يمكن أن ينظر المرء إلى إحدى قدميه على أنه أكثر أهمية من القدم الأخرى لسبب بسيط هو أن يستعملهما "معا" وهذا هو المنهج الجغرافي التكاملي الحقيقي،والخلاصة أن الدراسات الأصولية في الجغرافية دراسات متداخلة في الدراسة الإقليمية)، فعلى الرغم من أن العمل الذي قام به "رتر" عمل إقليمي في صميمه فإنه يدين بقسم كبير من أهميته للأفكار الأصولية التي يأتي عليها ، وكذلك على الرغم من أن العمل الذي قام به "همبولت أكثر ميلا إلى أن يكون أصوليا في صميمه فإنه يستمد كثيرا من قوته من أساسه الإقليمي، وانه لمن سوء الحظ أن بعض الجغرافيين المحدثين نسبياً قد تكلموا بما يوحى باعتقادهم بأن هناك اختلاف في القدرات بين الكتاب الإقليميين والكتاب الأصوليين – إذ تعتمد أي دراسة جغرافية طبيعية كانت أو بشرية أو اقتصادية على طريقتين لوصف وتحليل وتفسير الظاهرات الجغرافية، الأسلوب الأول هو الأسلوب الوصفي الذي يعتمد على خبرة الباحث الجغرافي، وكلما زادت خبرة الباحث وقدرته على الوصف زادت درجة الثقة في نتائج الدراسة المتحصل عليها أما الأسلوب الثاني فهو الأسلوب الكمي) أو الاحصائي ويستعمل في تحليل وتفسير الظاهرات الجغرافية عن طريق مدلولات الأرقام ، أن الأساليب الإحصائية تتعامل مع الارقام لذلك فهي الأدق في تفسير الظاهرات الجغرافية . إذ انها ظهرت في النصف الأول من القرن العشرين ، اثر الاهتمام المتزايد باستعمال الأساليب الكمية والنماذج الرياضية والهندسية في تقييم الحجم والأثر الكمي للظاهرات الطبيعية والبشرية في الدراسة الجغرافية فهي محاولة لجعل الجغرافيا علما وظيفياً يخدم الفرد والمجتمع كانت الثورة الكمية التي يشار اليها باللغة الانجليزية بـ OR) أو (Quantitative Revolution) واحدة من نقاط التحول الرئيسة الجغرافيا المعاصرة وقد وقعت الثورة الكمية أثناء الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين، وقد شهدت تغييراً مربعاً في الأساليب المستعملة لإجراء الأبحاث الجغرافية من الجغرافيا الإقليمية إلى العلوم المكانية والمطالبة الرئيسة للثورة الكمية تمثل في أنها أدت إلى الانتقال من الجغرافيا الوصفية (المقارنة بالذات) إلى الجغرافيا القائمة على وضع القوانين يشكل تجريبي (المتعلقة باكتشاف القوانين العامة) .ان المنهج الوصفي أدى الى وقت قريب خدمات جليلة للمعرفة

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (١) ملحق (١) آذار. لسنة ٢٠٢٦م -١٤٤٧هـ

الجغرافية تمثلت في دراسات ميدانية غالباً ماكانت اقليمية مكنت من التدرج الى المرحلة التالية كما تجد دراسات جد قيمة في هذا الباب تناولت عدة مناطق بالعالم خلال العقود السابقة مكنت الجغرافية من دخول مرحلة ثانية أكثر نضجاً هذا النوع من الدراسات أصبحنا ننشده اليوم بحكم تطور الاساليب وتطور تقنيات المعرفة كالصورة والاستشعار عن بعد وغيرها من التقنيات الحديثة فضلا عن تطور الاتصالات ووسائل الاعلام – المنهج الكمي أدى إلى انتقال الجغرافية من مرحلة الوصف والجمع والتركيم الى مرحلة المعالجة وتحديد العلاقات والاختبار واستنباط القوانين الفعل في الواقع وتحويله والتحكم فيه المنهج الكمي لايعوض المناهج الأخرى ولا ينفيها وانما يكملها ويتكامل معها ينجح حيث تخفق هي الأخرى ويعجز إذ تتألق في مواضع أخرى فكل المناهج لها مكانها في التحليل والحفل المعرفي، ولا يمكن الاستغناء عن منهج أو أخر ، ويستحسن تعدد المناهج لدراسة الظاهرة الواحدة لان الواقع والحقيقة بدورهما متعددي الجوانب ويتعدد المناهج والمقاربات تتوضح الرؤيا أكثر وتلم بكل أبعاد الواقع المتشعب .

ونحن عندما يدخل البعد الزمني في الدراسة الجغرافية فنحن ازاء فرع من فروع الجغرافية يعرف بالجغرافية التاريخية الذي يهتم بدراسة الظواهر الطبيعية والبشرية في الماضي، ويقبل هذا الفرع جميع فروع الجغرافيا ولذلك يقسمه بعض الباحثين في علم الجغرافيا الى قسمين كبيرين:

أولهما جغرافية الحاضر أو الجغرافية المعاصرة ، وثانيهما جغرافية الماضي أو الجغرافية التاريخية. ويعريف الجغرافي الأمريكي " ساور " لها من أكثر التعاريف شمولية ومنطقية إذ يعرفها بأنها (دراسة جغرافيات الماضي كلها للمنطقة المراد دراستها) (وهيبة،١٩٨٣،ص٤٤) ، وذلك منذ العصور الحيولوجية منذ ظهور الانسان ثم من خلال عصورها التاريخية بدء من المرحلة البدائية وانتهاء الى الوقت الحاضر الذي نحن فيه حتى تتمكن من فهم جغرافياتها الحالية والواقع أن الجغرافيا التاريخية في مجموعة جغرافية كاملة كما عبر عنها هنتر فقال (ليست هناك جغرافيا واحدة بل هناك جغرافيات تاريخية)، ولا تعني كلمة تاريخية ها صلة الجغرافية التاريخية بالتاريخ بل استعملت الكلمة هنا بمعنى الماضي (أيست،جوردن،ص٨٦)

وخلاصة ماتقدم من ثنائيات قمنا باستعراض البعض منها، تؤكد أنه ينبغي على الجعرافين في دراساتهم المحافظة على الوحدة المقدمة للجغرافية التي تقر على عدم امكان فصل الجغرافية البشرية عن الطبيعية ولا يجوز دراسة البشري بمعزل عن الطبيعي وكذلك عدم دراسة الطبيعي بمعزل عن البشري، ويصور هذا الازدواج او الانقسام صلاح الدين الشام يقوله (هما وجهان لعملة واحدة الاول مجاله الأرض مسرحا للانسان والثاني بشري مجاله الانسان صاحب الحق في الوجود على هذا المسرح وبهذين الوجهين تأخذ الجغرافية شكلها الحديث). وينبغي علينا معرفة أنه يوجد منهج كمي في الجغرافية ومنهج وصفي في الجغرافية ولا توجد جغرافية وصفية أو جغرافية كمية فعلم الجغرافيا يدرس ظاهرات عدة لاينبغي تفرعه بتسمياتها، يدرسها مجتمعة في المكان ضمن إبعاده الفلسفية، ويكشف انماطا وعلاقات مكانية بمنهج واحد وأبرز ما فيه النظرة التكاملية الى الظاهر الطبيعية والانسانية مجتمعة ومتفاعلة في اطار المكان –

ان منهج الجغرافية واحد منطبق على كل مايسمى بفروع الجغرافية، أما الثنائية فقد بدأت تنظر الى ماهو طبيعي وماهو بشري، في رأي الباحثتان ان الجغرافية لا ترتضي هذا التقسيم ولو انه شائع، وهي بحقيقة منهجها الا تقسم بل هي تنظر الى الظواهر بأنها مظهرين لشيء واحد هارتشون يقول ما معناه (ان فصل دراسة الانسان عن البيئة هي محاولة الاتيان بجريمة قتل علمية . وعندما يتسائل الكثيرون لماذا اتجهت الجغرافية الى هذه الثنائيات ؟ ربما اتجهت الجغرافية الى هذه الثنائيات لتقليل الجهد في البحث والتوصل إلى أدق التفسيرات والتحليلات والنتائج للظواهر المتعددة، إذ ان الجغرافيا تدرس العالم علما ان اقدم الثنائيات في الجغرافيا العامة والجغرافية الاقليمية وتم في القرن التاسع عشر الفصل بين الجغرافيا الطبيعية والجغرافية البشرية (جغرافية الانسان).

المبحث الثالث: (الجغرافيا علم المكان وفلسفتها)

فلسفة الجغرافيا هي الحقل الفرعي للفلسفة الذي يتعامل مع القضايا المعرفية، والميتافيزيقية، والإكسيولوجية في الجغرافيا .تأسست جمعية الفلسفة والجغرافيا في عام ١٩٩٧ على يد اندرو لايت، الذي يعمل حاليا فيلسوفا في جامعة جورج ماسون، وجونانان سميت الذي يعمل عالما

الجغرافيا في جامعة تكساس ايه أند إم. قامت دار رومان وليتلفيلد للنشر ينشر ثلاثة أجزاء من إحدى الجرائد السنوية التي تخضع لمراجعة الأقران، وهي جريدة الفلسفة والجغرافيا، والتي أصبحت لاحقا جريدة نصف سنوية تنشرها دار كارفاكس للنشر، تم دمج هذه الجريدة مع جريدة أخرى يكتبها جغرافيون، وسميت باسم الأخلاق والمكان والبيئة في عام ٢٠٠٥ لتصبح الأخلاق والمكان والبيئة: جريدة الفلسفة والجغرافيا وتنشرها دار روتليدج للنشر(موسى،٢٠٠٩،ص٥٦) . وقام لايت وسميث بتحرير الجديدة حتى عام ٢٠٠٩ ، تنشر الجريدة أعمال الفلاسفة والجغرافيين وغيرهم ممن يعملون في المجالات المسابية، والمتعلقة بالتساؤلات حول الفضاء والمكان والبيئة التي يتم تفسيرها بشكل كبير. وكان للجريدة دور أساس في توسيع نطاق مجال الأخلاقيات البيئية بحيث يشمل العمل في البيئات الحضرية. في عام ٢٠٠٩ تقاعد سميت من الجريدة وحضر بنيامين هيل من جامعة كولورادو للعمل محررا مشاركا جديدا. وأعاد هيل ولايت إصدار الجريدة في يناير ٢٠١١ تحت عنوان الأخلاقيات والسياسة والبيئة، وبينما تركز الجريدة حاليا بشكل أكبر على العلاقة بين الأخلاقيات البيئية والسياسة، فإنها لا تزال ترحب بالتقارير الخاصة بأعمال الجغرافيين ذات الصلة.جون كيرتلاند رايت(١٩٦٩-١٨٩١) ، وهو جغرافي أمريكي اشتهر برسم الخرائط الخاصة به ودراسة تاريخ الفكر الجغرافي، وقد صاغ المصطلح ذا الصلة جيوسوفي، للإشارة إلى دراسة المعارف الجغرافية الواسعة. حيث يجمع الجغرافيون في تحديدهم الجغرافية على أنها علم المكان (فيدال دو لابلاش)، وعلى أن فلسفة الجغرافية تنطلق من أنواع مكونات سطح الأرض وأشكالها كافة، التي تختلف من مكان إلى آخر؛ فنها عن ذلك اختلاف حول طبيعة الأمكنة، ناتج عن اختلاف في المكونات وأشكالها الموجودة على سطح الأرض، ولكن، هل يقتصر علم الجغرافية على هذا التحديد وحسب؟ أم أن ثمة أشياء أخرى تتداخل مع ما تقدم فتظهر، ولو يحلل مختلفة ومتفاوتة التعقيد، وتطرح فرضيات منيرة للبحث العلمي؟ ماذا لو سأمنا بما قيل: بأن علم الجغرافية هو "علم مركب، أدواته العلوم الأصولية"(المظفر ،٢٠٠٥،ص٥٥) ثم، هل يصح أن نكتفي بما تقدم ونغفل عن المكونات الأخرى الموجودة في باطن الأرض وقضائها من طبيعي وبشري، مما يشكل أدوات المكان الخاص؟ (جمال حمدان) الذي وصف

الجغرافية بأنها "فلسفة المكان." ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: هل علم الجغرافية وفلسفتها رهن بالقيود التي تفرضها مكونات مكان ما دون سواه، ومن ثم، تكون أمام بقع جغرافية معنونة ومعزولة الواحدة منها عن الأخرى؟ للإجابة عن هذا السؤال، سنحصر اهتمامنا بالمكان الاجتماعي الذي يعنى بنشاط الإنسان داخل محيطه الجغرافي؛ أي الإنسان الاجتماعي الذي يتفاعل مع المكان ليشكل ثنائياً تطور على مدى العصور؛ بدء من ابتكار النار إلى ابتكار الطاقة النووية والإنترنت إلى أن بلغ القرية العالمية،(أي ما يسمى بالعولمة) عبر رحلة دامت ملايين السنوات، إذ خرج الإنسان من محيطه المكاني الضيق وتفاعل مع غيره من العناصر البشرية في أمكنة جغرافية أخرى، فتبادل الخبرات والاكتشافات، وأظهر أنه كلما ارتقى الإنسان بالمستوى التقني وارتفع بمستواه العلمي والمعرفي قاطعاً شوطاً في التقدم، أصبحت عملية السيطرة على المكان الجغرافي أكثر فعالية في تخطي الصعاب والضغوط التي تفرضها البيئة الطبيعية المحيطة به، وأصبح الإنسان من ثم أكثر حرية في تشكيل مجاله الجغرافي، توكل الجغرافية على إظهار أهمية العنصر المكاني في توجيه كل الظاهرات التي تشكل سلوكياتها؛ ومن ثم تحدد شكل علاقة بعضها ببعض (المظفر ،٢٠٠٥،ص٥٤). وهي تعد التباين أو الاختلاف المكاني بكل مكوناته حجر الزاوية في علم الجغرافية من الناحية العلمية من جهة، والركيزة الأساسية في بناء العلاقات المعقدة بين الأماكن، التي تقوم الظاهرات فيها بدور بارز ، يحركها الإنسان بقدراته وامكاناته من ناحية أخرى. فكلما تطورت هذه القدرات وعلت هذه الإمكانات عند الإنسان، زادت قدرته على الحركة، وتشعبث علاقاته المكانية، فالدور الجغرافي الرائد هو في تمكن الإنسان، متسلحاً بأدبيات علمه، من تحليل وتفسير كل هذه العلاقات التي هي صلب المعرفة وركن العلم الأساس، وبما أن علم الجغرافية علم مركب يستعمل العلوم الأخرى لحل قضايا الإنسان على الأرض، فمن مهام الجغرافية التابعة من تطورات هذه العلوم، دون أي حاجة للغوص فيها من حيث الاختصاص، فهم نتائجها، فالتطورات، التي تطرأ على العلوم الموضوعية، تشكل تحدياً للجغرافية أيضاً، سواء حصلت على المستوى الأكاديمي أو على المستوى التطبيقي، لكن السؤال الذي يثار بين حين وآخر هو: دور الجغرافية وما أهميتها، لا

سيما عندما تغيرت النظرة إلى أن الجامعات مزودة للسوق بعمالة ذات مهارات معينة، بعض عن المؤهلات العلمية إذ أصبح الهدف إدخالها الخطط التنموية مجرد تلبية لحاجة السوق؟ نظراً لتضاؤل النظرية "العلم للعلم" لصالح "العلم للمجتمع"، على الجغرافية مكاناً بين العلوم في ظل هذه المعطيات بدأت في نهايات القرن العشرين، فأصبح الجغرافيين يرسخوا الجغرافية بتطويرها ذاتها. ذلك أن الجغرافية كثيراً من الازدواجية في المجالين البشري والطبيعي، استمر الصراع الجغرافيين المتخصصين الجانبين. وكان الجغرافيون الاوائل مثل (فون هبولت) و(كارل ريتر) و (ويليام و (أرتولد) الفرنسي الشهير (فيدال دي لا بلاش) وغيرهم (١٩٦٢، فريمان)، إليهم بعض المعاصرين اختلفوا في تحديد مجال الجغرافية وعلاقاتها الأخرى، لذلك، الجغرافية تواجه أغربة خارجية بين العلوم، التي لا تصنفها مع العلوم، وبين تفكك داخلي موقفها في فرض نفسها على أنها علم. وللبيان، لم يتوقف الجدل يوماً بين الجغرافيين دور الجغرافية وماهيتها، إلى أن بلغ الجدل حول الجغرافية الكلاسيكية وانتهى بهم إلى نعيها. أما السؤال الذي يطرح هنا فهو: هل على الجغرافي يجيد العلوم الأخر وأصولها؟ استمرار هذا الجدل، فقد صمدت الجغرافية مع أن بعض الجغرافيين صعب حقل الجغرافية مليئة بالعقد والعقبات، إذ أشير إلى أن عمر الجغرافي سيفني من دون الوصول إلى الكامل بالمكان الذي يدرسه بكل عناصره ومكوناته. لكن فلسفة الجغرافية، أشرنا المكان؛ والمكان تحدده ظواهره المترابطة بعلاقات وثيقة. فلا يمكن الاقتناع بأن يكون ملماً بكل العلوم، ليتمكن من دراسة السكان بظواهره. إذ يكفي الجغرافي أن يمتلك العلاقات المكانية لينسب الإنسان إلى مكانه، وليكون المكان مفتاحاً يفتح على كل الآفاق بكل التغيرات الهائلة التي أحدثها الإنسان في مكان معين خلال عصره؛ أي عصر وحضارته، ويكفي الجغرافية أنها صمدت أمام العولمة بكل ما أحيط بها من تغيرات في والمواصلات، تمت. فالمكان ملك للإنسان مهما وصلت تعقيدات المكان. فكما تمكنت الجغرافية من تخطي الحتمية، فسوف تتخطى العولمة وما بعد العولمة، كما تخطت الحداثة وما بعد الحداثة. فالجغرافية علم المكان، والمكان لن يختفي، ببساطة، لن تشرق الشمس من الغرب.

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (١) ملحق (١) آذار. لسنة ٢٠٢٦م -١٤٤٧هـ

تعّد الجغرافية الدراسة العلمية للأنماط المكانية، وهي تسعى إلى تحديد وتبيان الموقع وتوزيع الظاهرات البشرية والطبيعية على سطح الكرة الأرضية. ويتركز التشديد في الجغرافية على تنظيم وترتيب الظاهرات وعلى مدى اختلافها من مكان إلى آخر، فمع كونها تتقاسم العلوم الاجتماعية والبيئية الأخرى اهتماماً واسعاً في الظاهرة نفسها، فإن الأبعاد المكانية حول الظاهرات المتبعة من قبل الجغرافية متميزة، هما من اختصاص آخر لديه موقع وتوزيع كالذي تركز عليه الدراسة الرئيسية التي تقوم بها الجغرافية، فالهدف الرئيسي هو تطوير لفهم المبادئ العامة التي تحدد موقع الخصائص البشرية والطبيعية. (جاد ،٢٠١٠،ص٤٥).

والجدير بالذكر أنه، فضلا عن ما يدور من نقاش وجدل حول الفكر الجغرافي، الذي بلغ قمة ازدهاره في القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، بالإضافة إلى كونهما كونا الفلسفة الجغرافية ويلوراها، تتعرض الجغرافية في أثناء عملية النقاش والجدل إلى (ثورات)، تتجه كلها إلى (علمنة) الجغرافية بالابتعاد أكثر فأكثر عن الوصف والغوص في عملية التحليل من خلال استعمال أدوات الرياضيات وغيرها من التقنيات، لكنها سنة التطور وحرية التفكير التي شرعت أبواب المدارس المختلفة للمبدعين والمفكرين لطرح آرائهم العلمية بشجاعة، وإن تصادمت مع آراء أخرى مقابلة، تتكفئ ثم تعود فتظهر من جديد. لذلك، على الجغرافيين المثابرة ومتابعة سير أغوار هذا العلم، لأنه علم كوني لا حدود له ما دام هناك إنسان يسعى باستمرار ويسير قدماً.عندما بدأ الرحالة والمستكشفون يخطون الأسطر الأولى في علم الجغرافية، هل خطر ببال المفكرين الجغرافيين أنه سيأتي بعدهم من ينزل على سطح القمر ؟ لكن الأجيال التي جاءت بعدهم تابعت أعمالهم، وفعلت ما لم يخطر على بال أحد من أسلافهم؛ فلم يكتف هؤلاء بالهبوط على سطح القمر، بل توسعوا في أبحاثهم واستكشافاتهم لتشمل كواكب أخرى لم تكن معروفة من قبل، كما قاموا برحلات سياحية إلى القضاء والكواكب، هذه جميعها بدأت في أواخر القرن العشرين وامتدت وتطورت في أوائل القرن الواحد والعشرين، ومن يدري كيف ستتطور السياحة الفضائية في المستقبل، وإلى أي مدى؟ كل هذا يدل على أن المجال الجغرافي مجال رحب، ستتغير فيه المفاهيم والمصطلحات، ولكن ستظل فلسفة الجغرافية ورؤيتها ضمن حدود المكان.

فالإنسان بطبعه يسعى إلى الاستكشاف، وللجغرافي طريقته في إدراك المكان، فقد تطورت الجغرافية عبر حقب متعددة، ومن أبرزها التحول من الجغرافية الكلاسيكية إلى الجغرافية المتجددة، التي أخرجتها من المجال الثلاثي إلى حال أرحب، إذ تعددت حقولها فأضفت عليها الحيوية ، ثم، جاءت محاولات من العمل الوصفي البحث والغوص العمل التحليلي وتوسيع مفهوم المكان لتكرس فلسفة الجغرافية وأهمية وجود الإنسان، الكائن المهم البيئة، ليكون سيدانه المكان المستهلك قبله بدلا أن يتيه في المكان المطلق والبيئة المتشعبة المفاهيم، كل ما فعله الجغرافيون الدين كان هدفهم ترسيح الجغرافية على أنها له مكانته العلوم. أما فلسفة (ديكارت) فتتوضح من خلال قاله في هذا المجال: من يبحث الحقيقة يسلك طريق التحليل، فإن يفعل، كان كمن يحاول الصعود قمة برج شاهق من دون أن يستعمل السلم المؤدي إلى قمة هذا البرج وفي النهاية، تجدر الإشارة إلى أن تطوير الجغرافية ينطلق من داخلها وليس من خارجه(غانم،٢٠١٣،ص٦٨).والناظر بإمعان إلى كتابات حمدان ومنهجه ونظمه الجغرافي، يجد قد حلّق بعلم الجغرافيا إلى آفاق بعيدة، لم يستشعرها أحد أقرانه الجغرافيين قبله، فحمدان هو روح الجغرافيا الجديدة المتجددة دائماً وأبداً، فكتاباته تميل إلى النسق العلمي المتسق بالأدب، فها هو يرى أن الأسلوب الجميل ليس حكراً على الأدب فقط، بحيث يجب على الجغرافيين الابتعاد عن الأسلوب التقليدي التقيل الذي تشترطه الكتابة العلمية، فيكتب قائلاً: "لن نكتب في الثقافة العامة جغرافيا بحتة وصرفة! كلا، ستكون ثقافة عامة مشيعة أو مشعشعة أو مدعمة بالجغرافيا، ترتكز على الجغرافيا، ولكنها لا تركز عليها.كان حمدان يطالب الجغرافيين بالابتعاد عن اللوغاريتمات والمعادلات الصعبة التي تنقل على القارئ قراءته لهذا العلم الذي ظل سنوات بعيدة على يد المثقفين والعامة، ولكن المطلوب في نظره الجغرافيا الجميلة، الجغرافيا كعلم جميل. إن الجعرافيا عند حمدان تتساءل أساساً عما يعطي منطقة ما تفردها وتميزها بين سائر المناطق، فيتعجب عن هذا العلم قائلاً: "شيء غريب فعلاً وحقاً، موقع الجغرافيا بين العلوم يكاد يشبه موقع مصر بين البلاد" ، لقد رأى حمدان أن علم الجغرافيا هو علم حائر بين العلوم الأخرى فهو يتوسط هذه

العلوم، ومصر تتوسط العالم جغرافيا، فالجغرافيا تأخذ من كل العلوم فتصنع منها عصيرا وكانتاً خاصاً.

أنشأ حمدان مدرسة جديدة راقية في التفكير الإستراتيجي المنظم، مزج فيها بطريقة غير مسبوقة ما بين علم الجغرافيا، الذي لايتعدى مفهومه لدى البعض نطاق الموقع والتضاريس ، وعلوم التاريخ والاقتصاد والسياسة ، ليخرج لنا مكوناً جديداً أسماه "جغرافيا الحياة " وهذا المصطلح ليس بمعنى الجغرافيا الحيوية" وإنما يقصد "every day life geography" أي جغرافيا تنسج الحياة اليومية ودورة حياة الناس الجارية في نمط الإقليم ومورفولوجية الأرض، فها هو حمدان يكتب (إن الجغرافيا هي كل ما ترى العين خارج البيت أو الجدران out of doors كل ما نراه خارج البيت أي في الطبيعة أو في البيئة أو في الشارع (أي خارج البيت) هو جغرافيا (بحتة). فكل إنسان؛ جغرافي أو غير جغرافي، ترى الجغرافيا حيث كان وأينما تحرك (فيها) ولا مهرب له منها البتة (حيثما تكونوا تدرككم الجغرافيا حتى ولو لم تدركوها أنتم!) وكل إنسان على الأرض له خبرة ومعرفة بالجغرافيا سواء أدرك أو لم يدرك، فالجغرافيا علم بصري أولاً إن لم نقل أساساً، والأعمى وحده للأسف هو الذي يخرج خارج الجغرافيا، لا يراها ولا يعرفها أي يدركها وإن هي أدركته طبعاً، هذا يعيد تأكيد أهمية مدرسة اللاندسكيب في الجغرافيا، إنها ليست ناقلة أو بدعة، بل ضرورة وجود.

دعا حمدان إلى مدرسة جديدة في علم الجغرافيا تخرج من النطاق الأكاديمي الضيق إلى رحاب الحياة الواسعة والخروج من الجامعة إلى المجتمع، بأن يخرج العلم إلى الإعلام، وألا يبقى متعلقاً على نفسه فينفر منه المثقفون والعامة، فكتب يقول: "وأخيراً هناك الخروج من النطاق الأكاديمي الضيق إلى الحياة العامة الواسعة، أي الخروج من الجامعة إلى المجتمع، فبدلاً من أن تقتصر الجغرافيا على العلم والتعلم يضاف إليها بعد ثالث هو الإعلام – ولنذكر أن ثلاثتها تشتق من جذر لغوي واحد، وهذا تبادر فنقول إن الإعلام شيء والدعاية شيء آخر. فليس المقصود أن تخرج المادة من برج العلم الجامعي وقوقعة التعليم المدرسي من جغرافيا المعاجم إلى ميدان الثقافة الواسعة العريضة، الرفيعة والمبسطة، بلا انغلاق أو ابتذال في نفس الوقت، بمعنى آخر

(جغرافيا بلا دموع) إن شئت أو الجغرافيا للملايين وذلك لخلق حاسة جغرافية ووعي جغرافي عند المثقف العام والجمهور العريض (حمدان،١٩٨٠،ص٢٣). ومعنى هذا (حملة) جغرافية منتظمة ومستمرة تقدم الحقائق السليمة الموضوعية الطازجة التي تهم الجماهير في قوالب من أفكار كلية خصبة تختزل تلك الحقائق فتكون سهلة الحمل والتفاعل والامتصاص في أذهان الناس، كل أولئك في أسلوب له طعم ولون ورائحة حتى يجذب الناس إليه. إن منابر الرأي العام هي مجال هذا النشاط: الصحافة، الإذاعة، المحاضرات العامة، والمقصود بهذا شيء أكبر من (جغرافيا المناسبات) التي لدينا حاليا، والتي لا تخلو من انتهازية علمية وسطحية، المقصود خبز يومي جغرافي يقدم إلى الجماهير بانتظام ونظراً لكون "الإقليمية كانت مذهبه الجغرافي فكانت الجغرافيا عنده هي (الاتجاه السائد بين المدارس المعاصرة) فكتب يقول في مقدمته لكتاب شخصية مصر : "أن تكون الجغرافيا في الاتجاه السائد بين المدارس المعاصرة هي علم "التباين الأرضي " اي التعرف على الاختلافات الرئيسة بين أجزاء الأرض على مختلف المستويات" فمن الطبيعي أن تكون قمة الجغرافيا هي التعرف على شخصيات الأقاليم." وإذا كان الإقليم بهذا التعريف هو قلب الجغرافيا، فمن المنطقي أن تكون الشخصية الإقليمية هي قلب الإقليم، من ثم في أعلى مراحل الفكر الجغرافي، والشخصية الإقليمية شيء أكبر من مجرد المحصلة الرياضية لخصائص وتوزيعات الإقليم(غانم،٢٠١٣،ص٤٤)، إنها تتساءل أساساً عما يعطي منطقة تفردها وتميزها بين سائر المناطق، كما تريد أن تنفذ إلى روح المكان لتستشف عبقريته الذاتية التي تحدد شخصيته الكامنة." كما كان يرى أن الشخصية الإقليمية ذروة الجغرافيا وبإطلالة كلية يراها علوية رفيعة لا تقف عند حدود وصف المكان بل تتعداها إلى فلسفته. كان هدف حمدان دراسة الشخصية الإقليمية فكتب قائلاً (ليس هدفنا، يعني، أن نشرح المكان لنقدم عن أعضائه وأجزائه موسوعة كتالوجية وصفية، أن تكون ضافية واقية إلا أنها حاملة راكدة، ولكن الهدف أن تعتصر روح المكان ثم نستقطره حتى يستقطب في أدق مقولة علمية مقبولة ويتركز في أكثف كبسولة لفظية ممكنة، ولمثل هذا فنحن بحاجة إلى جغرافيا تركيبية في المقام الأول، جغرافيا علوية رفيعة (قل سوبر – جغرافيا (super-geography، لا تقف عند حدود وصف المكان بل تتعداه إلى

فلسفة المكان. حدود و ولقد كانت الجغرافيا عند حمدان هي "الجذر الجبري للتاريخ" ويتضح ذلك في مقدمة كتابه القيم "إستراتيجية الاستعمار والتحرير" عندما قال: "والذي نود أن نؤكده بهذا أن البعد التاريخي مدخل إلى أية دراسة علمية جادة وعميقة لواقعنا السياسي والإستراتيجي المعاصر. وبغير هذا تبدو الحقائق مقتلعة، والتعميمات – ريما – مبتسرة مفتعلة، وتخرج الصورة كلها ولها مسطح ولكن ليس لها عمق..."، "والحقيقة أن التاريخ هو معمل الجغرافي كما قيل، وهو كذلك المخزن) الاستراتيجي الذي لا ينضب، وكل منهما يستمد منه خامته ويجري عليها تجاربه.وبالنسبة للجغرافي بالذات، فإن التاريخ إذا كرر نفسه – وهو قد يفعل – فهذا التكرار هو الجغرافيا: أعني أن الجغرافيا بهذا هي الجذر الجبري للتاريخ، وعملية استقطاب له وتركيز. – أكثر من هذا، ليس التاريخ كما عبر البعض إلا جغرافيا متحركة، بينما الجغرافيا تاريخ توقف، وهما معاً أشبه شيء بفرص الطيف: إذا سكن على عجلته تعددت ألوانه فإن هو دار تحرك استحال لوناً جديداً واحداً. إن الجغرافيا عنده في شعر العلم ونثره العلوم الأولية، هذه هي صياغة حمدان الجميلة لعلم الجغرافيا، هذه الصياغة التي أخرجت جمال حمدان من مفهوم الجغرافيا الضيق الذي ينظر به الأكاديمون ويعطل خروج العلم على المثقفين والعامة، هذه هي موسيقى جغرافيا حمدان .إن حمدان لا يكتب جغرافيا بل يخاطبها كمحبوبته، يزينها بكل الأشعار والألحان الرومانسية الخالدة، فشبهها بسندريلا العلوم، ولعل كلمات حمدان هذه تخرج هذا العلم من برجه العاجي وتضعه في مساره الصحيح، فما قيمة العلوم إذا لم تستطع الخروج إلى محراب الفكر وتصل إلى أذهان الناس عامة، فقد وضع حمدان معادلة لتوضيح مقولته هذه الجغرافيا عنده هي شعر العلم ونيره العلوم الأولية إن الجغرافيا عند حمدان ليست علم الأرض بقدر ما هي علم المكان فيقول "الجغرافيا هي علم المكان، كما أن التاريخ علم الزمان.

أهمية علم الجغرافيا

خارطة توضح الكثافة السكانية حول العالم إن الجغرافيا لم تعد ذلك العلم الذي يهتم بوصف الظواهر وصفاً سطحياً بعيداً عن الواقع بل أصبحت ذلك التخصص الذي يتماشى والتطور العلمي الحديث المعتمد على التحليل والقياس والربط واستخدام النماذج والنظريات الحديثة وبذلك

صارت في الاتجاه التطبيقي الذي يعرف اليوم بالجغرافيا الكمية والجغرافيا التطبيقية التي ترفض أن تستمر بعيداً عن الانشغالات الكبرى للإنسان وذلك لما تمتاز به الجغرافيا من قدرة على التأقلم مع مختلف العلوم فهي تمثل همزة وصل متينة بين هذه العلوم وهي تسخرها جميعا لخدمتها وتأخذ منها ما يخدمها ويميزها عن غيرها (خير،٢٠٠٢،ص٥٢) وقد شهدت السنوات الأخيرة تحولات كبيرة في المنهج الجغرافي والمحتوى العلمي وكذلك في الأساليب التي يعتمد عليها في تحقيق الأهداف والأغراض، ولعل من أسباب هذه التحولات أيضاً ما طرأ على المحتوى البشري من تطور كبير إذ أصبح الجغرافيون يعالجون مواضيع لم تكن بالأمس معروفة حتى وكأن المتتبع لأعمال الجغرافيين يلمس ذلك الاهتمام المتزايد بالتركيز على دراسة الظواهر والمواضيع الطبيعية والبشرية المختلفة بطريقة تختلف عما كانت عليه في الماضي بفضل استعمالهم للوسائل الكمية المتقدمة في أبحاثهم استعانة بالإحصاء والإعلام الآلي والرياضيات والنماذج والهندسة والطبيعة والكيمياء، وكان لذلك التطور في استعمال مثل هذه الوسائل نتائج هامة أسفرت عن دفع عجلة الجغرافيا وجعلها علما يتماشى وعصر التكنولوجيا ،حتى أطلق البعض على هذا التحول في استخدام الوسائل والمناهج مصطلح (الثورة الكمية في الجغرافيا)، وهذه الثورة لقيت ترحيباً كبيراً من الجغرافيين لأن للمنهج الكمي مزاياه كثيرة ولعل أبرزها وأهمها أن النتائج التي يمكن التوصل إليها تكون أكثر دقة بفضل التحليل العلمي لتسلسل الأحداث وهذا التحليل العلمي الجغرافي يبرز النظم التي أثرت في وجود الظواهر المختلفة التي يتعرض لها الجغرافي بالدراسة والتطرق لها عبر ابحاث ودراسات عليا، فهو لا يكتفي بالوصف بقدر ما يعتمد على الأسباب التي أنشأت هذه الظواهر الطبيعية الجغرافية(غانم،٢٠١٣،ص٦٤).

الخاتمة :

• يهتم علم الجغرافيا بدراسة مظاهر سطح الأرض والظواهر الطبيعية والبشرية عليها ودراسة التأثير والترابط الإنعكاسي بينهما، وتقوم على أساس الموقع والموضع والامتداد. كما تعني الجغرافيا أيضا بدراسة أشكال الأنظمة الموجودة على سطح الأرض والعلاقات الرابطة بين الظواهر المختلفة.

• تتنوع الجغرافيا في المواضيع التي تدرسها والطرق التي تنتهجها. تدرس الجغرافيا جميع المظاهر التي يتصف بها سطح الأرض طبيعية كانت أم بشرية وتنقسم إلى شعبتين أساسيتين متكاملتين اختلافهما قائم على تباين طرق المعالجة والمنهجية.فتقف الأولى ممثلة في الجغرافيا العامة لكل أنواعها الطبيعية والبشرية والاقتصادية...الخ والثانية هي (الجغرافيا الإقليمية. الاختلاف بينهما هو أن الأولى تدرس الأنماط وتبحث عن القوانين – المتحكمة فيها في حين أن الثانية تعتني بإبراز المميزات التي ينفرد بها كل منظر وكل مركب إقليمي، تحلل الجغرافيا العامة العلاقات والارتباطات لأنها تضع كل عنصر في قالبة العام خلال الدراسة، غير أنها لا تقارن) أي ظاهرة إلا بظاهرة مماثلة لها تذكر تحت نفس العنوان، بينما تختص الجغرافيا الإقليمية بالبحث عن العلاقات والارتباطات التي تصل بين الظواهر القائمة في الإقليم الواحد وتقارن بينها رغم التباين في طبيعتها وأنماطها ويكون هذا لإبراز الانفراد الذي يتميز به الإقليم مع الأقاليم الأخرى، الجغرافيا الإقليمية هي البحث التركيبي لقطعة من مجال الأرض، ومهمتها ليست بوضع كشف عام لمكونات هذه القطعة بل مهمتها هي البحث عن الطريقة التي نظم بها هذا المجال وكيفية استغلال الإنسان له الإقليم : يطلق اسم إقليم على مجال من الأرض ينفرد ببعض المزايا والمقومات تجعله وحدة متكاملة وتميزه عما يجاوره من مجالات ويمتد بنفس الدرجة التي تمتد بها هذه الخصائص وهذه المميزات مع العلم أن مفهوم الإقليم ل نسبي واجتهادي إن لم نقل ذاتي. نسبي إذا أخذنا بعين الاعتبار أنه لا يوجد على سطح الأرض منطقة تنسابه في كل مقوماتها مع منطقة أخرى مهما صغر حجمها واجتهادي ذلك لأن الفرد هو الذي يقوم شخصيا بتحديد الإقليم عادة حسب ما يتراءى له من خصائص يقوم عليها هذا التحديد ويقدر تنوع الأسس التحديدية بقدر تنوع الأقاليم نفسها . تتغير الأسس التحديدية إما حسب المكان أو الهدف المرسوم للتحديد الإقليمي إذا وضع التحديد من أجل استغلالها في تصميم مخطط تنمية مثلا فعناصر الاستقطاب المدني أو درجة التطور الاقتصادي أو التقسيم الإداري الذي سيكون الإطار التنفيذي للمخطط هي التي ستتحكم في تعريف الإقليم وكذلك يؤدي اتساع الفضاء المدروس دورا هاما في تحديد نظرة الباحث إلى المقومات لأن المقياس المستعمل في وضع البحث يختلف مع

اختلاف درجة الاتساع فتدرس الوحدات الشاسعة بمقياس صغير والوحدات الصغيرة بمقياس كبير والأمر الذي يكون هاما في المقياس الكبير قد لا يصبح كذلك إذا صغر المقياس، فالمقومات التي يستعملها الدارس في تحديد الدراسة الإقليمية لا تتغير مع تغير طبيعة الشيء فقط بل كذلك حسب زاوية النظر التي يختارها ومقياس الدراسة الذي يضعه ، و ذكرنا في التعريف أن حدود الإقليم خاضعة للمضمون الذي تحتوي عليه فيجب إذا تحليل هذا المضمون أولا حتى يسهل توقيع حدودا دقيقة تبعا لعناصر الاختلاف أو التشابه . يمكن لكلمة إقليم أن تشير إلى مركب متجانس تكون فيه العلاقات بين مختلف العناصر المكونة له واحدة أو تشير إلى مجموعة من مركبات متجانسة صغيرة تكون الفروق بينها داخل المجموعة أقل من تلك التي تفصلها عما حولها فتكون إقليما متميزا له صبغة إجمالية واحدة تبرزه وسط مجموعات أخرى . و يمكن للإقليم أيضا أن يكون مجموعة منظمة تحت تحكم مركز عمراني يجمع بين وحداتها حتى ولو اختلفت اختلافا كبيرا . الإقليم إذا عبارة عن مركب ودراسته تخضع للبحث التركيبي فيبدأ أولا بتحديد عناصر المركب ثم توضح العلاقات الكامنة بين هذه العناصر أي أنه يجب الإطلاع على مقومات الإقليم واحدة تلو الأخرى ، ثم إدراك كيفية تأثير كل منها على الآخر .

المصادر:

١. فرحان، يحيى، وابوسمور، حسن، والخلف، محمد أحمد ، المدخل الى الجغرافية الطبيعية ، جمعية عمال التعاونية ، عمان ، الاردن ، ١٩٩١

٢. وهيبة،عبد الفتاح محمد، الجغرافية التاريخية بين النظرية والتطبيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٠.

٣. غانم،علي احمد ، تطور الفكر الجغرافي، عمان، دار المسيرة للطبع والنشر، الطبعة الاولى، ٢٠١٣.

٤. أيست، جوردن، الجغرافية توجه التاريخ ، ترجمة جمال الدين الدياصوري ، مراجعة دولت احمد صادق ، سلسلة الألف كتاب (٩١) ، دار الهلال ، بلا سنة

٥.تو. فريمان، الجغرافية في مائة عام ، ترجمة د. عبد العزيز طريح شرف ، دار الشؤون الثقافية العامة (افاق عربية) – العراق – بغداد بدون تاريخ .

٦.جاد، طه محمود ، نظرات في الفكر الجغرافي الحديث ، مجلة الجغرافية الكويتية ، العدد ١٩ ، ٢٠١٠

٧.حمدان، جمال ، شخصية مصر ، دراسة في عبقرية المكان ،مطبعة دار العالم العربي ، القاهرة ، ١٩٨٠

٨.خصباك، شاكر والمياح، علي محمد ، الفكر الجغرافي، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٣.

٩.خير، صفوح، الجغرافية موضوعها ومناهجها وأهدافها ، دار الفكر، دمشق ،٢٠٠٢

١٠.الفرا ،محمد علي عمر ، اتجاهات الفكر الجغرافي الحديث والمعاصر – نشره قسم الجغرافية ، جامعة الكويت رقم ٤٩ ، يناير ١٩٨٣ .

١١.المظفر، محسن عبد الصاحب ، فلسفة علم المكان (الجغرافيا) ، دار صفاء للنشر والتوزيع ،ط١ ، عمان ، ٢٠٠٥ .

١٢.موسى، عبد الرسول علي ،المكان علم الجغرافية وفلسفتها التحليل المكاني ، دار الفكر ، دمشق ، ٢٠٠٩